واقع استعمال الانترنيت في البحث العلمي و التواصل بين الأساتذة و الطلبة

حنيفة صالحي

مقدمة:

يعتبر الانترنيت الثورة السادسة في عالم الاتصال الإنساني بعد الثورة الأولى التي تمثلت في اكتشاف الكلمة المنطوقة و الثانية التي بدأت باختراع الكتابة و الثالثة التي تلت اختراع الطباعة و الرابعة التي نتجت عن اكتشاف و تطور الالكترونيات و التي ولدت معها الهاتف و التلغراف و الراديو و التي أعقبها نقل الصور بخطوط المواصلات السلكية و بعد ذلك تحركت الصورة على شاشة السينما ثم صحبها الصوت، ثم جاء التلفاز ليعرض صورا متحركة ناطقة بالأحداث وقت وقوعها و قد شكّلت الأقمار الصناعية الثورة الخامسة حيث استطاعت القنوات الفضائية أن تضيف بعدا آخر لتسهم بدورها في تحقيق عالمية المعرفة و إلغاء عنصري الزمان و المكان.

و يعدّ الانترنيت أحدث التقنيات التي شهدها العقد الأخير من القرن العشرين فهو بمنزلة موسوعة علمية تقدم خدماتها لكافة المستفيدين في جميع المجالات كمجال الأبحاث العلمية و مجال الأعمال بكل جوانبه و المجالات التنظيمية الحكومية بمختلف صورها و أشكالها. و قد حوّلت هذه الشبكة الكرة الأرضية إلى قرية صغيرة و سوق واحدة في شكل جديد متطور.و لو أن بعض الأطروحات ترى فيها ضررا يفوق النفع، على الرغم من غزوها لكل المجالات و خاصة المجال العلمي.

لقد أصبح في إمكان الطالب الجامعي و الباحث في أي مكان و مجال أن يحصل على المعلومات اللازمة دون الاضطرار إلى السفر بعيدا و التنقل بين المكتبات المختلفة و استطاعت الشبكة المعلوماتية أن تكسر احتكار المعلومات و الأخبار و تجاوز بعض السلطات الرسمية التي كانت تفرض رقابة على النشر و

تداول المعلومة. و الجامعة بوصفها مؤسسة منتجة للعلم و المعرفة فلا يمكن لهـا أن تكون بمعزل عما يعرفه العالم من تطور و تقدم بل هي مطالبة بمزيد من التفتح على المنجزات العلمية و التكنولوجية في العالم لتمكين خرجيها من تحقيق مستوى معـين يسمح بمواكبة التغيرات العالمية و عدم التخلف في إنجازاتها في مجال البحث العلمي و الإبداع الإنساني.

I – التواصل الإنساني و التكنولوجيا الحديثة:

1 – التواصل الإنساني : يعرّف التواصل على أنه " العلاقة التي نقيمها مع طـرف آخر له استعداد الاستجابة لهذا الفعل، و هو يعتبر علاقة مشـتركة بـين طـرفين أو أطراف متعددة" (أحمد بن مرسلي، 1998، ص ص 78، 79). في حـين عـرّف قاموس "المورد" التواصل على أنه تبادل الأفكار، الآراء و المعلومات عـن طريـق الكلام، و الكتابة أو الإشارة سواء في شكل الإيماءات، أو ذبذبات سمعية، أو سـمعية بصرية سلكية كانت أو لاسلكية (أحمد بن مرسلي،2003).

أما مفهوم **شارل كولي** (C.COOLEY) فيرتكز على البعد الوظيفي حيـث يقول أن "التواصل هو الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقة الإنسانية و تتطور ، إنه يتضمن كل رموز الذهن مع وسائل تبليغها عبر المجال و تعزيزها فـي الزمـان، و يتضمن أيضا تعابير الوجه و هيئات الجسد، و الحركات و نبرة الصوت و الكلمات و الكتابات و المطبوعات و التلغراف و التلفون و كل ما يشـمله آخـر مـا تـمّ مـن الاكتشافات في المكان و الزمان..."(محمد آيت موحي، 2006 ، ص 82).

و ما تجدر الإشارة إليه هو الاختلاف في استعمال مصطلحي " التواصـل" و "الاتصال" و أحيانا الدمج بينهما و اعتبارهما يؤديان نفس المعنى .لكن **ابن منظور** في "لسان العرب" بيّن الاختلاف حيث يقول :" اتصال من فعل اتصل ، يتصـل فنقـول اتصل الأستاذ بالتلميذ و اتصل زيد بعمرو أي أقام معه صلة و يشير هذا المعنى إلى أن المبادرة تأتي من جانب واحد هو الفاعل. أما التواصل فهو من فعـل تواصـل ، يتواصل فنقول تواصل الأستاذ و التلاميذ و تواصل زيد وعمرو و يفيد المشاركة مـا دام الفاعل أكثر من فرد واحد و ما دامت المبادرة تأتي من الطرفين معا، فالتواصل حوار يتبادل فيه الطرفان الحديث بحيث يكون الأول مرسلا و الثاني متلقيا و عنـدما يرد الثاني بالموافقة أو الاختلاف يصير مرسلا و المرسل يصير متلقيـا." (ابـن منظور، 2003 ،ص 728) .

و مهما تعددت العبارات و اختلفت أحيانا المصطلحات فالكل أكدّ على سمة التبادل المشترك للمعاني في تحديد مفهوم مصطلح الاتصال أو التواصل، ومن ذلك يتجلى أن السمة التي تميز التواصل عن غيره من أشكال نقل المعلومات هو التبادل المشترك للمعاني بين المرسل و المستقبل أي تنقل المعلومات بين الطرفين المذكورين ليس في اتجاه واحد و إنما في اتجاهين متقابلين. و أن تطور الوسائل و التقنيات من شأنه أن يزيد في دائرة المستقبلين و في سرعة نقل المعلومة، و لو أن التواصل المباشر يبقى أكثر الوسائل تأثيرا في الآخر.

و للتواصل أهداف عامة وخاصة ، أما العام منها فهو ما كان يراد منه نقل التراث الخاص بالشعوب و الثقافات المحلية أو الاطلاع على الثقافات الغيرية بغرض الاستفادة منها و النقل عليها ، و أما الخاص فهو ما تعلق بحياة الأفراد مع بعضهم فالمرسل يسعى إلى التأثير في المستقبل أو إعلامه بخبر ما أو إقناعه بأفكار محددة أو تعليمه أشياء معينة .و أما وجهة نظر المستقبل فهي السعي لفهم أفكار المرسل و معرفة الأخبار و تعلم مهارات جديدة و فهم ما يحيط به من أحداث و مشكلات و الحصول على معارف تنمي شخصيته و تهيئه لحل مشكلات حياته الراهنة و المستقبلية.

2 – أنماط الاتصالات التنظيمية: قام العديد من الباحثين و المختصين بدراسات تتمحور حول أهمية الاتصالات بقنواتها و وسائلها في صنع القرارات و تحديد الاتجاهات ، و كشفت هذه البحوث أن التنظيم اللامركزي أكثر فعالية في حل المشكلات المعقدة (جبريل علي الحازمي، 2002 ، ص ص 7-9)، و قد تمخض عنها تحديد 4 أنماط رئيسة للاتصالات خاصة ذات البعد التنظيمي (مثلما هو الحال في الجامعة مثلا):

ا – **النمط الأول** "شكل العجلة": يتيح هذا النمط لعضو واحد في المحور (الرئيس أو المشرف) أن يتصل بأعضاء المجموعة الآخرين ، و لا يستطيع أعضاء المجموعة في هذا النمط الاتصال المباشر إلا بالرئيس أي أن الاتصال يتم فيما بينهم عن طريقه فقط و استخدام هذا الأسلوب يجعل سلطة اتخاذ القرار تتركز في يد الرئيس أو المدير (كالأستاذ مثلا). في هذه الحالة تكون التبعية للقائد كبيرة جدا حيث لا تسمح بالإبداع أو أخذ المبادرة.

ب– النمط الثاني" شكل الدائرة": في هذا النمط يكون كل عضو مرتبط بعضوين أي أن كل فرد يستطيع أن يتصل اتصالا مباشرا بشخصين آخرين و يمكن الاتصال ببقية

الأعضاء بواسطة أحد الأفراد الذي يتصل به مباشرة (أساتذة فيما بينهم أو طلبة فيما بينهم).

في هذه الحالة الاتصال محدود بين كل الأعضاء و ضرورة وجود شخص محوري يوجه المناقشات و تبادل الآراء.

ج – النمط الثالث "شكل السلسلة": في هذا النمط يكون جميع الأعضاء في خط واحد حيث لا يستطيع أي منهم الاتصال المباشر بفرد آخر (أو بفردين) إلا إذا كان أحد الأفراد الذين يمثلون مراكز مهمة.

و يلاحظ أن الفرد الذي يقع في وسط (منتصف) السلسلة يملك النفوذ و التأثير الأكبر في منصبه الوسطي (جلوس الطلبة في المدرج أثناء المحاضرة). هنا كذلك يقلّ التفاعل المباشر بين الأفراد و نقل المعلومة يكون عموديا.

د – النمط الرابع "شكل الكل المتشابك": في هذا النمط يتاح لكل أفراد التنظيم أو الجهاز الاتصال المباشر بأي فرد فيه بمعنى آخر أن الاتصال يتجه إلى كل الاتجاهات غير أن استخدام هذا النمط يؤدي إلى البطء في عملية توصيل المعلومات و إلى إمكانية زيادة التحريف فيها و بالتالي يقلّل من الوصول إلى قرارات سليمة و فعالة (اجتماع الطلبة في حصة تطبيقية موجهة).

عموما يمكن اعتبار التفاعل الذي يحدث أثناء العملية التعليمية مهم جدا و يخضع لتأثير عدة عوامل ، لكن عصر السرعة و التطور الهائل في جميع مجالات العلوم و الحياة عموما يستدعي اللجوء إلى التقنيات الحديثة التي تختصر الوقت و المسافات و حتى بذل الجهد الفكري و لهذا فإن الانترنيت تقنية ضرورية في عملية التعليم مهما كان مستواها و مجالها.

3 – أهمية شبكة الانترنيت و دواعي استخدامها: تعد شبكة الانترنيت أبرز التقنيات التي فرضت نفسها على المستوى العالمي خلال السنوات القليلة الماضية حيث يتوقع لها أن تصبح أسلوبا للتعامل اليومي و نمطا للتبادل المعرفي ، و فيما يلي الأسباب التي توضح دواعي و أهمية الاستفادة من خدمات شبكة الانترنيت (إبراهيم عبد الوكيل الفار، 2000 ، ص 164-166):

ا – الصورة تغني عن ألف كلمة حيث تعتبر مؤتمرات الفيديو عملية هامة جدا للعاملين بكافة المجالات حيث تنقل الآن اجتماعات و لقاءات فورية عبر القارات و البلدان مما يفسح المجال للتبادل الفوري للمعلومات و الأفكار دون الحاجة للتنقل أو السفر.

ب- العالم يتكلم لغة واحدة فمنذ 1990 تمّ إصدار عدة نسخ من لغة HTLM و لغة ترميز النصوص في World wide web لتصبح لغة مناسبة لجميع مستخدمي الانترنيت و التي توفر قدرات أفضل للتعامل مع وثائق معالجات النصوص المعتادة.

ج – التسويق الالكتروني الذي يجعل من شبكة الانترنيت أسرع الطرق للتجارة و الحصول على المواد العلمية حيث ترسل العديد من الشركات معلومات مفصلة عن منتجاتها و خدماتها بغية تسهيل التسوق و الاختيار للزبائن.

د – رؤية الواقع المجسم ثلاثي الأبعاد حيث عملت المؤسسات المختصة في الميدان على بعث الحياة في المؤثرات الرقمية و جعل المواقع الثنائية الأبعاد تبدو مجسّمة على نحو كبير من خلال تمكين المستخدمين التحليق في عوالم ثلاثية الأبعاد و استكشاف مواقع الأحداث و المدن و المكتبات و المتاحف و المواقع السياحية ، كما يمكنهم من معاينة نماذج المنتجات ذات الأبعاد الثلاثة في الأدلة و الفهارس المباشرة. كما أن الرسوم الثلاثية الأبعاد أصبحت متوفرة على الشبكة مما يجعل هذه الإمكانية ميسرة في التطبيقات الهندسية و الفنية و الإعلامية.

ه – خدمات إعلامية جديدة حيث تعتبر الخدمات المتعلقة بالصحف و المجلات الإلكترونية و بنوك المعلومات و الأسواق المالية و الكتب و الأقراص المدمجة من الخدمات الأساسية على الانترنيت في حين أصبحت الكتب عاجزة عن توفير كم معين و في وقت معين للمعلومة.

ناهيك عن تخزين كم هائل من المعلومات و القدرة على استخراجها و استخدامها بسهولة و يسر. و كذلك هو الأمر بالنسبة للنشر و الإعلان الذي لا يعرف حدودا جغرافية و لا ثقافية.

و – ربط المجتمعات المحلية و القومية و العالمية حيث أن التواصل عبر الانترنيت لا يعرف حدودا مكانية أو زمنية أو إيديولوجية، بل إنه يفتح آفاقا للتلاقي و التحاور و تبادل الآراء من شأنه أن ينمي التجربة الإنسانية و يثريها.

ن – تطور التعلم و التدريب ليكون أكثر فعالية فإدخال الحاسوب و تكنولوجيا المعلومات و الاتصالات إلى ميدان التدريس يعيد صياغة العلاقة الكلاسيكية القائمة بين المعلم و المتعلم ، فقد تحول المعلم أو الأستاذ من شخص يحتكر المعلومة إلى مرشد أو مشرف عام على عملية التعلم و هذا لاتساع عالم المعلومات الرقمية.

و ما تطور مصادر المعرفة من الكتب الجامدة إلى البرمجيات إلا تأكيد على فعالية المتعلم و دوره الأساسي في انتقاء المعلومة و تسخيرها أينما أراد و حيثما شاء.

II – الجامعة الجزائرية و منظومة الانترنيت: لقد عرفت الجامعة الجزائرية على غرار باقي المؤسسات الرسمية في الجزائر العديد من التغيرات و التحولات وفق ما عرفه المجتمع عموما من الاستقلال إلى يومنا هذا، حتى و لو أن الجامعة في الجزائر وجدت قبل الاستقلال و كان هذا عام 1832 م بتأسيس أول مدرسة للطب ، ثم تأسيس أربع مدارس عليا (طب،أدب، قانون و علوم) و هذا عام 1909 م.

و بعد مرحلة التأسيس ثم التسيير جاءت المرحلة الحالية و هي مرحلة التحرر و إدماج حقيقي في المجتمع من خلال تفعيل أدائها و أداء متخرجيها.

1 – التحولات الكبرى للجامعة الجزائرية: تغير الجامعة الذي واكب تغير المجتمع نتج عن تأثير فعلين أساسيين، الأول كان واضحا و ظاهرا و يتمثل في الإصلاحات و التعديلات من طرف السلطة السياسية و تكييف الجامعة تقنيا و ثقافيا مع محيطها و أهم هذه الإصلاحات تلك التي جاءت في 1971 و التي طبعت نظام التعليم العالي بتغيرات عميقة في فلسفة و طريقة التسيير(مراد بن أشنهو، 1981، ص 97).

أما الفعل الثاني فهو فعل خطي يشير إلى ضرورة ربط الجامعة بالمجتمع و تحديد اتجاهاتها وفق اتجاهات المجتمع الذي يسير هو الآخر وفق التغيرات العالمية خاصة في زمن العولمة. و أهم التحولات التي عرفتها الجامعة وفق وجهة النظر هذه:

ا – **التحول الأول:** و تمثل في التطور المعتبر لعدد الطلبة من 504 طالب عام 1954 إلى ألف طالب عام 1964 إلى 350000 عام 1998، و هكذا إلى يومنا هذا.

ب – **التحول الثاني:** توسع الشبكة الجامعية لتشمل الشمال و الجنوب و التطور من جامعة واحدة بالعاصمة و مركزين جامعيين في قسنطينة و وهران إلى 55 مؤسسة جامعية منها 13 جامعة ، بالإضافة إلى العديد من المراكز الجامعية للتكوين المتواصل.

ج – **التحول الثالث:** تطور هيئة التدريس فمن 82 أستاذ عام 1962 إلى 14581 سنة 1997 مع جزأرة كلية للطاقم البيداغوجي و الإداري.

د – **التحول الرابع:** تميز هذا التحول بتطور نسبة الإناث بدرجة كبيرة حتى أن عدد الإناث المسجلات في الجامعة أكثر من الذكور.

ه – **التحول الخـــامس:** تميز بتعريب أكبر عدد من الدراسات لـــيس فقـــط العلـــوم الإنسانية و الاجتماعية لكن أيضا العلوم الدقيقة و علوم الطبيعة.

و – **التحول السادس:** تميز بالتوسع الجغرافي و هو يأخذ شكلين مختلفــين شــكل توسعي من خلال التشييد و بناء أقطاب جامعية عملاقة و شكل تكاملي يقصد به إتباع أساليب معينة في التوجيه.

هذه التحولات على الرغم من البعد الإيجابي فيها إلا أنهـا عرفــت بعــض الاختلالات و الاضطرابات قد يكون على رأسها عدم قدرة الجامعة الجزائرية علـــى خلق الطالب الجزائري المبدع و الخلاّق (جمال قريد، 2007) ، و أنه في كل مــرة تأتي ظروف اجتماعية و سياسية و اقتصادية معينة تفرض تسييرا معينا يتماشـــى و الظروف لا يستقل عنها ليكون إطار المستقبل الذي من شأنه تغيير الأوضاع ، اللهم الآن بعد أن فرضت التكنولوجيا ذاتها و جعلت من التطلع على تجارب جديدة و كفؤة وسيلة لإحداث التغيير و التطور.

2 – **علاقة الانترنيت بأهداف المؤسسة الجامعيـــة:** تــؤدي الخــدمات المعرفيــة للانترنيت دورا هاما في عمليتي التعليم و التعلم ، فهي توفر كما هائلا من المعلومات العلمية و الأدبية و التقنية المتخصصة، بالإضافة إلى إمكانية اشتراك الطــلاب فـــي الدوريات و المجلات العلمية لترسل إليهم في شكلها الالكتروني. ناهيك عن قواعــد البيانات و الاستفادة منها في تثمين التخصصات التي يدرسونها وثقافتهم الخاصة. هذا و توفر الانترنيت مواقع متعددة تتضمن المناهج التعليمية في جميع المراحل الدراسية و خاصة الجامعية منها فهي تسهم في خلق بيئة تعليمية مشوقة و ثرية.

كما أن بعض المؤسسات الجامعية قامت بتصميم بــرامج خاصـــة للتعلــيم الفردي باستخدام الانترنيت حيث يتم تقييم تحصيل الطالب مــن خــلال اختبــارات تحصيلية منشورة على الشبكة ثم توجيه الطالب إلى تعلم عــدد مــن الموضـــوعات المتخصصة التي تنمي الجوانب الضعيفة لديه للارتقاء بمستواه .و يمكن أن تلخـــص خدمات الانترنيت للأستاذ و الطالب عبر المحاور التالية:

ا – **الاتصال و التواصل:** من خلال البريد الالكتروني و هذا إما لتقــديم الــدروس و الواجبات بين الطالب و الأستاذ و إما بربط الاتصال بين المختصين على المســتوى

العالمي أو الإقليمي أو المحلي للاستفادة من خبراتهم و تجاربهم.أو اعتماده كوسيط بين الإدارة و هيئة التدريس أو الإدارة و الطلبة.

ب- **مجالات تطبيق مجموعات الأخبار**:أو خلق منتديات للطلبة أو الأساتذة أو للاثنين معا و قد أظهرت هذه الطريقة نجاعتها في حل العديد من المشاكل و طرح القضايا المهمة للنقاش و الاستفادة من خبرات الآخرين. كما أن مثل هذه التجمعات الافتراضية تسمح بالتقاء أكبر عدد من المهتمين و تنشيط الفعل الجامعي سواء كان ذا بعد علمي أو ثقافي أو اجتماعي.

ج – **مجالات تطبيق المؤتمرات المرئية عن بعد:** تستخدم لعقد الاجتماعات بالصوت و الصورة بين الأفراد مهما تباعدت المسافات، و بث المحاضرات من مقر الجامعة بأي مكان كان أين يمكن نقل وقائع المحاضرة دون أي تكلفة و هذا ما يستعمل في آلية التعليم عن بعد حيث يتمكن الطلبة و الباحثون من الاستفادة من محاضرات و ندوات حتى و لو كانوا في بيوتهم. كما تستخدم في استضافة العلماء و المختصين من كل أنحاء العالم مع إمكانية مناقشتهم و التحاور معهم.و كذلك إمكانية عرض بعض التجارب العلمية مثل العمليات الجراحية الدقيقة.

د – **البحث العلمي:** غيّر الانترنيت مفهوم البحث العلمي الكلاسيكي الذي كان يرتكز أساسا على المراجع المكتوبة لكن اليوم استطاعت الشبكة العنكبوتية من تقديم أفضل الخدمات في هذا المجال و هذا بتوفير المعلومة الحديثة و التشاور مع المختصين و الزملاء في أقصر وقت و بأقل تكلفة.حتى أن التطبيقات الميدانية للأبحاث العلمية أصبحت تقام من خلال الانترنيت.ضف إلى هذا إمكانية كتابة و إعداد بحوث مشتركة بين باحثين أو أكثر تفصل بينهم مسافات جغرافية متباعدة.....

كل هذه الخدمات مع تطورها كل يوم و كل ساعة و كل ثانية يستوجب أن تستغلّ هذه التقنية في مؤسسة مثل الجامعة الجزائرية التي تسعى إلى التخصص، الاستقلالية و الحرية و تكوين الإطار الفعّال و المثقف.

III – إشكالية الدراسة:

يحتاج البحث العلمي إلى قنوات متعددة للتزود بالمعلومات بحيث لا يمكن الاكتفاء بالمعلومة المنشورة عبر الوثائق في صورها المختلفة كما لا يمكن للباحث أستاذا كان أو طالبا أن يستمر في عمله بمعزل عن غيره من الباحثين و الأساتذة و الخبراء بمعنى أن اتصال الباحث بالمحيط يفيده في تحيين معلوماته و إثراء

دراسته. و يعد قطاع البحث العلمي من أهم القطاعات التي تزداد الحاجة فيهـا إلـى تواصل أفراده بل من الضروري إيجاد سبل مختلفة لتواصل الأساتذة و الطلاب فيما بينهم، سواء كانت من خلال العلاقات الشخصية أو في شكل لقـاءات منظمـة مثـل المحاضرات و المناظرات و الموائد المستديرة و المناقشات و غيرها.

إن الاتصال بين الأساتذة و الطلاب أمر لا مفر منه و لا يمكن للبحث العلمي أن يتطور و أن يتقدم دون تواصل ما بينهم، لأن حاجتهم للمعلومات هي دوما مستمرة ما دام عملهم متواصل. إن التداول الالكتروني للمعلومات بين الأساتذة و الطلاب هي عملية اتصالية بينهم تتم من خلال استغلال كل مـن تكنولوجيـا الإعـلام الآلـي و تكنولوجيا الاتصال بشكل تحقق التواصل الآني ما بين الأسـاتذة و الطـلاب لتبـادل الرأي و مناقشة الأفكار و النظريات و المعلومات التي تشغل بال كليهما فـي شـكل حوار سمعي بصري مع الاستعانة بأدوات توضيحية أخـرى يسـتخدمها البـاحثون المشاركون في الحوار في أنحاء مختلفة من المعمورة. إن الأهداف العامة مـن هـذا الأسلوب المتطور في الاتصال مابين الباحثين سواء أساتذة أو طلاب تتحد في كونـه أداة لإلغاء الحدود الجغرافية و السياسية و اختصار المسافات البعيدة و مجابهة عامل الوقت و توفير الأموال الطائلة و غيرها التي قد تشكل قيـودا موضـوعية لارتبـاط الباحثين ما بينهم.

و الدراسة التي قمنا ها كانت تهدف لمعرفة مدى استخدام الانترنيت كوسيلة للتواصل بين الأساتذة و طلبتهم، و محاولة الكشف عن وجهات نظر الأساتذة و الطلبة على حد سواء في استخدام الانترنيت كوسيلة للاتصال و التواصل، مقارنة اسـتخدام هذه الوسيلة بالوسائل المتاحة الأخرى، و لهذا كانت تساؤلاتنا على النحو التالي:هـل يستعمل كل من الأساتذة و الطلبة الانترنيت في البحث العلمي على حد سواء ؟ما هي نسبة استعمال هذه الوسيلة ؟ ما الذي يدفع الأساتذة و الطلبة إلى اسـتخدامها ؟ هـل يوجد تواصل بينهم عبر الانترنيت في جامعة باتنة؟ ما هي نسبته؟ هل توجد طـرق أخرى للتواصل أكثر استعمالا من الانترنيت؟ و ما هي وجهة نظـر الطـرفين فـي استخدامها في التواصل بينهم؟

IV – منهج و أدوات الدراسة:

1 – المنهج: المنهج المتبع كان الوصفي التحليلي و هذا بالنظر لطبيعة الموضوع، و لكن قبل البدء في الدراسة الأساسية قمنا بدراسة استطلاعية بغرض بناء الأدوات (استبيان للأساتذة و استبيان للطلبة) مع تحديد كل من العوامل التالية الجنس، العمر، الشهادة و التخصص.و حسب الخصائص السيكومترية تبين أن الأداتين تتوفران على الصدق و الثبات.

2 – الأدوات: احتوى الاستبيانان على ثلاث محاور رئيسية: استعمال الانترنيت في البحث العلمي، استعمال الانترنيت في التواصل بين الأستاذ و طلبته (بالنسبة لاستبيان الأساتذة) و استعمال الانترنيت في التواصل بين الطالب أساتذته (بالنسبة لاستبيان الطلبة) ، و استعمال أنظمة أخرى مقارنة بالانترنيت. كما تمّ استعمال المقابلة النصف موجهة مع مجموعة من الأساتذة و مجموعة من الطلبة بغرض التعرف أكثر و بعمق عن آرائهم فيما يخص استعمال الإنترنيت.

المعالجة الإحصائية كانت عن طريق SPSS ، و اختبار كاف مربع، و أخيرا النسب المئوية.

3 – الخصائص الوصفية للعينة: اختيرت العينة بطريقة عشوائية في المجتمع الدراسة الأصلي، و كان قوامها 144 فرد : 72 أستاذ و 72 طالب موزعين بنسب متفاوتة على التخصصات الموجودة بجامعة باتنة(كيمياء، رياضيات، زراعة، فيزياء، بيولوجيا، أدب، علم اجتماع، بيطرة ....)، و كان هذا خلال شهري مارس، أفريل، ماي و جوان 2009 .

ا – عينة الأساتذة:

خصائص العينة		التكرار	%
من حيث الجنس	أنثى	42	58.33
	ذكر	30	41.67
	المجموع	72	100
من حيث العمر	29/20	11	15.28
	39/30	24	33.33
	45/40	25	34.72
	فوق 50	12	16.67
	المجموع	72	100
من حيث الشهادة	ليسانس	03	4.17
	مهندس دولة	03	4.17
	ماجستير	42	58.33
	دكتوراه	18	25
	طب عام	02	2.78
	طبيب مختص	04	5.56
	المجموع	72	100
من حيث التخصص	علوم دقيقة	14	19.44
	علوم زراعية	4	5.55
	بيولوجيا	06	8.33
	علوم اجتماعية	14	19.44
	لغات و آداب	16	22.22
	ميكانيك	03	4.16
	هندسة	06	8.33
	إعلام آلي	04	5.55
	طب	05	6.94
	المجموع	72	100

جدول (1) يبيّن الخصائص الوصفية لعينة الأساتذة

ب – عينة الطلبة:

خصائص العينة		التكرار	%
من حيث الجنس	أنثى	50	69.44
	ذكر	22	30.56
	المجموع	72	100
من حيث العمر	تحت 20 سنة	01	1.39
	29/20	66	91.67
	فوق 30 سنة	05	6.94
	المجموع	72	100
من حيث الشهادة	ليسانس	36	50
	ماجستير	36	50
	المجموع	72	100
من حيث التخصص	علوم دقيقة	12	16.66
	علوم زراعية	07	9.72
	علوم اجتماعية	08	11.11
	بيولوجيا	06	8.33
	لغات وآداب	10	13.88
	اقتصاد	01	1.38
	قانون و سياسة	02	2.77
	ميكانيك	07	9.72
	هندسة	06	8.33
	إعلام آلي	03	4.16
	تجارة	05	6.94
	طب	05	6.94
	المجموع	72	100

جدول (2) يبيّن الخصائص الوصفية لعينة الطلبة

ما يلاحظ على العينتين هو التوازن عموما بين مختلف التخصصات سواء كانت علمية ، تقنية أو أدبية و هذا لتفادي تأثير عامل التخصص.

V–عرض النتائج و تحليلها:

1 – عرض النتائج:

ا– استعمال الانترنيت في البحث العلمي:

الفئة	نعم	أحيانا	لا	قيمةK^2	الدلالة
أساتذة	%69.90	%18.36	%11.72	20.3	دالة إحصائيا عند 0.05
طلبة	%61.88	%22.59	%15.59		دالة إحصائيا عند 0.01

جدول (3) يبيّن النسب المئوية لاستعمال الانترنيت في البحث العلمي و الفروق بين فئة الطلبة و الأساتذة.

يظهر من خلال الجدول أن نسبة الأساتذة الذين يستعملون الانترنيت في البحث العلمي تقارب 70% و نسبة الطلبة تفوق 60% في حين أن نسبة حوالي 10 إلى 15 %لا تستعمل هذه التقنية. يظهر كذلك من خلال الجدول أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في استعمال كل من الأساتذة و الطلبة للانترنيت في البحث العلمي.

ب– استعمال الانترنيت في التواصل بين الطلبة و الأساتذة:

الفئة	نعم	أحيانا	لا	قيمةK^2	الدلالة
أساتذة	16.51	18.83	64.66	32.56	دالة إحصائيا عند 0.05
طلبة	20.31	12.85	66.84		دالة إحصائيا عند 0.01

جدول (4) يبيّن النسب المئوية لاستعمال الانترنيت في التواصل بين الأساتذة و الطلبة و الفروق بين الفئتين في هذا المجال

يظهر من خلال الجدول أن نسبة قليلة من الأساتذة الذين يستعملون الانترنيت في التواصل مع طلبتهم و كذلك نسبة قليلة من الطلبة تتواصل عبر الانترنيت مع الأساتذة. يظهر كذلك من خلال الجدول أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في استعمال كل من الأساتذة و الطلبة للانترنيت في التواصل مع بعضهم.

ج– استعمال أنظمة أخرى للتواصل مقارنة بالانترنيت بين الأساتذة و الطلبة:

البدائل	نعم		أحيانا		لا		قيمة K^2	الدلالة
الفئات	أساتذة	طلبة	أساتذة	طلبة	أساتذة	طلبة	58.85	دالة إحصائيا عند 0.05
الأنظمة	النسب المئوية		النسب المئوية		النسب المئوية			
شفهيا	84.72	72.22	15.28	20.83	00	6.94		
كتابيا	27.78	23.61	26.39	11.11	45.83	65.28		دالة إحصائيا عند 0.01
الهاتف	29.17	29.17	30.56	19.44	40.28	51.39		
الفاكس	2.78	1.39	4.17	2.78	93.06	95.83		

جدول (5) يبيّن النسب المئوية لاستعمال أنظمة أخرى في التواصل بين الأساتذة و الطلبة و الفروق بين الفئتين في هذا المجال.

ما يلاحظ هو اعتماد كبير على التواصل الشفهي بين الطلبة و الأساتذة، و أن نسبة متوسطة من الطرفين تتواصل كتابيا و هي بنسب متقاربة نوعاما مع استعمال الهاتف، أما الفاكس فكان من الوسائل قليلة الاستعمال جدا. كما يظهر أنه لا توجد فروق بين الطلبة و الأساتذة في استعمال أنظمة أخرى ما عدا الانترنيت.

و قد عبّرت مجموعة من الطلبة و الأساتذة من خلال المقابلات النصف موجهة تفضيلهم للتواصل المباشر الشفهي أو ما يعرف بالتواصل التقليدي على التواصل بالانترنيت لما له من تأثير مباشر على الطرفين و لما له من فائدة في الفهم و الاستيعاب و حتى تكوين علاقات إنسانية بين الطرفين تساعد على نجاح العملية البيداغوجية.

2 – تحليل النتائج:

ا – محور الانترنيت و البحث العلمي: ما يفسّر الاستعمال الكبير للانترنيت في البحث العلمي سواء عند الطلبة أو الأساتذة هو أن هذه الوسيلة توفر كتلة هائلة من المعلومات المتراكمة و المتجددة عن طريق الكتب و المراجع و الدوريات و المجلات الالكترونية في مختلف المجالات، و قد يعزى هذا كذلك إلى نقص المراجع بالمكتبات و عدم توفرها على كتب جديدة تتماشى و التطور الذي تعرفه العلوم في شتى التخصصات. لكن ما يشكو منه خاصة الأساتذة هو عدم انتساب الجامعة الجزائرية

لمواقع علمية عالمية أو مواقع جامعات تسّهل على الباحثين الحصول على نتائج آخر البحوث، و لو أن دوريات و مجلات عديدة تفسح المجال للباحثين و الأساتذة نشر مقالاتهم و نتائج البحوث التي قاموا بإعدادها. كما تضيف العينتان أن وجود مواقع تعليمية للغات تساعد على تعلم و إتقان لغات جديدة خاصة الانجليزية. أما من يرفض استعمال هذه التقنية فيرى أنها لا تتسم بالمصداقية العلمية و لا بالرقابة الدقيقة حول صحة ما هو منشور فيها لذا يفضلون الرجوع إلى الوثائق المكتوبة و المطبوعة.

كما توجد أسباب ثانوية أخرى (وجدت خاصة عند الأساتذة الكبار في السن) تمثلت خاصة في عدم التحكم في التقنية و في الإعلام الآلي عموما أو حتى التكلفة المالية لها و هذا عند الطلبة. و ما يؤخذ على الشبكة العنكبوتية هو فكرة التبعية و الاتكالية التي ترسّخت عند الطلبة و حتى الأساتذة في نقل الأبحاث و الدراسات حرفيا دون القيام بالجهد الفكري الضروري للتحصيل.

ب – محور الانترنيت و التواصل بين الطلبة و الأساتذة:

قلة استعمال الانترنيت في التواصل بين الطلبة و الأساتذة عموما لها أسباب متعددة و إن كان الأمر يتوقف بنسبة كبيرة على نوعية التخصص، حيث نجد مثلا أن أساتذة قسم الإعلام الآلي يجبرون طلبتهم على فتح بريد إلكتروني حتى يتسنى لهم التواصل عبره لكن في الإطار العلمي البحت (إرسال البحوث، طرح الأسئلة، التعود على استعمال هذه التقنية....).

تستخدم أيضا الانترنيت في عملية الإشراف بنسب متفاوتة و ظهر هذا خاصة في حالة الطلبة الذين ينجزون أبحاثهم تحت إشراف أستاذ خارج الوطن، أو خارج الجامعة التي يدرسون فيها. فيما يخص الحوار الكتابي المباشر فإن نسبة استعماله قليلة جدا و هذا راجع لعدم توافق أوقات الفراغ بين الطلبة و الأساتذة و عدم دخولهم للشبكة في نفس الوقت و تفضيل الأساتذة الاشتغال بأبحاثهم و دراساتهم عوض التواصل المباشر مع الطلبة عبر الإنترنيت.

يستخدم أيضا 50 % من الطلبة (خاصة عينة الماجستير) موقع الجامعة(الحاج لخضر – باتنة –) إلا أن نسبة استعماله تتفاوت من فرد لآخر و هذا بغرض الاطلاع على البرنامج الدراسي و الاطلاع على قائمة البحوث المقترحة و مشرفيها سواء بحوث ماجستير أو دكتوراه... و يرى البعض أنه لا غنى عن هذا الموقع حيث يستعمله في تحميل الرسائل الجامعية المنجزة و بتخصصات عدة.

تفضيل التواصل المباشر يرجعه الطرفان إلى أن ردود الفعل المرئية أنجع في إيصال الفكرة لكليهما حول الحالة النفسية و الجسمية أيضا. عامل نفسي مهم يفرض نفسه و هو الإيماءات و الانفعالات بأنواعها(غضب، رضا، فرح ، اهتمام، تركيز....) و هي مميزات نفسية و فيزيولوجية تعكس حالة الأستاذ و الطالب. فكرة أخرى تفرض نفسها و هي اتجاه المجتمع عموما نحو الاختلاط أو بمعنى آخر فقدان الرقابة على العلاقات الخارجية للأفراد و هذا ما أدلى به معظم أفراد العينة فما بالك إن كان عبر الانترنيت أين تكون الحرية في الكلام و التعبير، إضافة إلى الخلفية السلبية عما تحتويه الانترنيت من مواقع إباحية جعلت البعض يلغي هذه الوسيلة في التعامل بها.

فئة أخرى تجد مشاكل تقنية في استعمال الانترنيت و في بعض الحالات تسيير جهاز الكمبيوتر، إضافة إلى تدني منحة البحث – و لو أن هذا الأمر قد تم تجاوزه مؤخرا-. ما تبيّن أيضا هو أن الطلبة لم يجدوا فرصة في التواصل لجهلهم بقواعد تسيير شبكة الانترنيت، أو حتى فتح بريد إلكتروني، و وجود مشاكل مادية عند الطلبة لا تسمح لهم دائما باستعمال هذه التقنية.

نتيجة أخرى كذلك يجب الإشارة إليها تكمن في أن نسبة تواصل الأساتذة فيما بينهم قدرت بـ51.39 %أما الطلبة فيما بينهم فكان بنسبة 34.72% و هنا نلاحظ أن الأساتذة أكثر اتصالا ببعضهم من الطلبة فيما بينهم و قد يعود هذا إلى كثرة المصالح المشتركة بين الأساتذة عكس الطلبة.

ج – محور استعمال أنظمة أخرى للتواصل مقارنة بالانترنيت بين الأساتذة و الطلبة:

اتفق كل من الطلبة و الأساتذة على اعتبار الاتصال الشفهي أنجع طريقة للتواصل لأن تأثيره المباشر و الفعال لا غبار عليه، و لو أن فئة معينة من الطلبة أبدت عدم تفضيلها لهذا النوع من التواصل للخجل و الخوف الذي يعرفونه في مواجهة أساتذتهم. أما التواصل الكتابي فهو الآخر كان له نسبة كبيرة من حيث الاستعمال بين الطرفين و هذا لوضوحه و اقتصاد الوقت و لو أن فعاليته أقل من النوع الأول.استعمال وسائط الكترونية أخرى (قرص مرن، USB ....) ظهر جليا خاصة في التخصصات العلمية و التقنية. أما بالنسبة للهاتف فقد ظهرت أهميته خاصة في تنظيم المواعيد و تحديد اللقاءات و هي أنجع طريقة لهذا الغرض مع رفض نسبة معينة من الأساتذة فكرة إعطاء أرقامهم الشخصية لطلبتهم على اعتبار أن العلاقة بينهما لا يجب أن تصل إلى الأمور الخاصة كالهاتف و الذي قد يستعمل في غير

محله.أما الفاكس فكان أكثر الوسائل المرفوضة و هذا لتكلفته المادية و لعدم فعاليتــه سواء في الزمن أو حتى الأريحية.

عدم وجود فروق بين الأساتذة و الطلبة في طريقة تعاملهم مــع الإنترنيــت تعكس أن الفئتين خاضعتين لنفس الظروف و لنفس المعطيات، و أن الجامعة أصبحت مجالا تتوحد فيه الرؤى ، كيف لا و هذه الخدمة التقنية غزت كل المجالات و لكنهــا تجد فائدتها القصوى في الجامعة.أكبر خطر تحدث عنه المبحوثون هو القضاء علــى الإبداع و حتى أخذ المبادرة لأن كل ما يفكر فيه سواء الطالب أو الأستاذ إلا ووجــده عبر الشبكة مما يثير الخوف من مستقبل البحث العلمي في الجزائر.

خاتمــــــة:

يعتبر التواصل و الاتصال أمر هام في المؤسسة الجامعية حيث تظهر الثنائية البيداغوجية أستاذ / طالب لاعبا محوريا فيها كيف لا و الأول توكل له مهمة التعليم و التكوين و الإشراف و المتابعة، و الثاني مطالب بالتحصيل و اكتســاب المعرفــة و تحديد أهداف مسطّرة تخدمه كفرد و تعود بالفائدة على جماعته و تسير ببلــده نحــو التطور و التقدم.

و لا يمكن الوصول إلى هذا المبتغى إذا بقينا بعيدين عن وســائل الاتصــال الحديثة و على رأسها الإنترنيت. هذه الأخيرة التي فرضت نفسها في إثــراء البحــث العلمي و إعطائه صبغة جديدة معاصرة تواكب التطور العالمي في مجــال البحــث. كذلك الحال بالنسبة للاتصال التقني الجديــد و ضــرورة إدماجــه ضــمن العلاقــة البيداغوجية و التي لم تعد تعتمد على البعد الإنساني البحت ، بل إنها أصبحت تعتمــد – و بنسبة كبيرة – على البعد التكنولوجي.

و لو أن نتائج الدراسة بيّنت ديمومة الارتباط بالأنظمة التواصلية الكلاســيكية النابعة أساسا من ثقافة المجتمع و خصوصية الفــرد الجزائــري ، إلا أن ضــرورة التفكير في الأنماط المعاصرة و الحديثة يجب أن يبدأ و بفعالية، دون أن ننسى أن نهيأ الذهنيات و الأفراد لمثل هذه الطرق خاصة بالنسبة للأساتذة و أن نحسن استعمال هذه الأداة بعيدا عن الاستهلاك الآداتي البليد.

قائمة المراجع:

– الحازمي جبريل علي، "مفهوم الاتصال"، مواد في العلاقات العامة، عدد9 ، نوفمبر 2002

– الفار إبراهيم عبد الوكيل، تربويات الحاسوب و تحديات مطلع القرن الحادي و العشرين،دار الفكر العربي، ط2 ،مصر، 2000.

– آيت موحي محمد، دينامية الجماعة التربوية، منشورات عالم التربية، الجزائر ، 2006 .

– بن أشنهو مراد ، نحو الجامعة الجزائرية، ترجمة عايدة أديب بامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،1981 .

– ابن منظور جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، منشورات محمد علي بيضون، مجلد 8، ط1 ، لبنان،2003 .

– بن مرسلي أحمد، "الاتصال و أشكاله المختلفة"، حوليات جامعة الجزائر، ج1، رقم 11، الجزائر، 1998.

– بن مرسلي أحمد، مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام و الاتصال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003.

– GUERID Djamel, L’exception algérienne : la modernisation à l’épreuve de la société, Casbah Editions, Alger, 2007.